الفصل العشرون

بونابرت والوعد الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل العشرون:
بونابرت والوعد الأول

آمال الخزامى

عادى بونابرت اليهود، لكنه كان أول مسئول كبير غربى، في العصر الحديث، نادى بوطن قومى لليهود في فلسطين.

لقد مرت الفكرة الصهيونية بمرحلتين، أولاهما ما قبل عام ١٨٩٧، حيث كانت الصهيونية في طور التكوين الفكرى. ومرحلة ما بعد عام ١٨٩٧م، عندما أخذت الصهيونية شكلها التنظيمى، لتحقيق توصيات المؤتمر الصهيوني الأول، المنعقد في مدينة بال السويسرية، صيف عام ١٨٩٧. ومن هنا وجد بعض بناة الإمبراطوريات في الغرب الاستعانة باليهود، بإثارة الشعور الدينى لدى اليهود، والرغبة في " العودة إلى فلسطين "، لتدعيم مصالح الغرب في المنطقة العربية [١].

نوقشت " المسألة اليهودية "، إبان الثورة الفرنسية، هل اليهود فرنسيون أم أنهم أمة داخل أمة؟ وعزف أعداء اليهود على وتر " الخطر اليهودي "، وأن اليهود جسم غريب منبوذ، يجب التخلص منه. وطرح آخرون اندماج اليهود، وأعطائهم حقوقهم، بشرط التخلي عن خصوصيتهم اللغوية، والثقافية، والإثنية، في الحياة العامة. ليصبح اليهودي مواطنًا في الشارع، يهوديًا في منزله، ومنعت الجامعة اليهودية من ممارسة بعض شعائرها، في عام ١٧٩٣ -

١٧٩٤، باعتبار هذه الشعائر لا تتفق مع العقل. [٢]

قادة الثورة الفرنسية يكرمون اليهود:

قامت الثورة البرجوازية الفرنسية، عام ١٧٩٢م، ضد تحالف الكنيسة مع الإقطاع، ومن شعاراتها " اشنقوا آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس "، نتيجة ظلم الكنيسة الكاثوليكية، المتعاونة مع الإقطاع، فقد تحالفت القوى التي تعرضت لهذا الظلم، من أجل القضاء عليه، ومن أبرز هذه القوى اليهود.

موَّل الرأسماليون اليهود الثورة الفرنسية، وساعدوا على نجاحها، من خلال محافلهم الماسونية، التي استطاعت أن تجعل شعاراتها هي نفسها شعارات الثورة الفرنسية؛ " الأخاء، والحرية، والمساواة "، لمقاومة الحصار العنصري الذي فرضته الكنيسة الكاثوليكية على اليهود، وشعار " دعه يعمل، دعه يمر "، لمقاومة منع تنقل اليهود، ووضعهم في مجتمعات مغلقة (الغيتو) [*].

نتيجة لذلك، أعطى قادة الثورة الفرنسية لليهود مكانة خاصة، ومحوا عنهم آثار الاضطهاد الكاثوليكي [٣].

بدأت الدبلوماسية الفرنسية، منذ عام ١٧٩٥، بإعادة الجسور مع الشرق، فواصلت الجمعية التأسيسة الجهود السابقة للنظام الملكى، بتزويد فرنسا بمترجمين أكفاء، عن طريق تأسيس مدرسة اللغات الشرقية الحية، وفي العام نفسه جاء اعتراف السلطان العثماني بالجمهورية الفرنسية، وقدم مشروعًا للتحالف من قبل القائم بالأعمال، فيرنينال، في عام ١٧٩٦،

وخلفه، أُوبير - دوبيس، مصحوبًا ببعثته العسكرية والتقنية، وهكذا حظيت فرنسا بالصداقة العثمانية، وأصبحت الظروف مواتية لبونابرت، وحملته (٤).

ولكن من هو بونابرت؟!:

ولد بونابرت، في ١٥ أغسطس/آب ١٧٦٩، من أسرة تنحدر من أصل إيطالي، في مدينة اجاكسيو، عاصمة مدينة كورسيكا، التابعة لجمهورية جنوى، التي استولت عليها فرنسا، عام ١٧٦٨، أي قبل ولادة بونابرت بسنة، فهو إيطالى الأصل، فرنسى المولد.

تلقى بونابرت دروسه الأولى في مدرسة أجاكسيو، ثم التحق بمدرسة بريين الحربية بفرنسا، ثم مدرسة باريس الحربية، عام ١٧٨٤، وانتظم في سلك المدفعية، والتحق بالجيش، بعد تخرجه. وإبان الثورة الفرنسية، انضم بونابرت إليها، وبعد أن أعلنت فرنسا الحرب على النمسا، ثم على إنجلترا، وهولندا، وأسبانيا، أحاطها الأعداء من كل جانب، واحتل الإنجليز طولون، ميناء فرنسا البحري، على البحر الأبيض المتوسط، عام ١٧٩٣. وقد أظهر بونابرت نبوغه الحربي في حصار طولون، واسترجاعها، وعيِّنت الحكومة الفرنسية بونابرت قائدًا للجيش الفرنسى في حرب إيطاليا، ١٧٩٦ (٥).

عاد بونابرت منتصرًا من إيطاليا، في ديسمبر / كانون الأول ١٧٩٧، وكانت حكومته قد عيَّنته لقيادة الجيش المجمع على الساحل الإنجليزي، تمهيدًا لغزو الجزر البريطانية، وبعد جولة تفتيشية سريعة في مناطق تنفيذ الغزو، في فبراير/ شباط ١٧٩٨، كتب بونابرت تقريرًا

لحكومته، عن نقص الموارد العسكرية والمالية، نقصًا شديدًا، وشدد بأن على فرنسا الاختيار بين ثلاثة، عقد صلح مع إنجلترا، أو غزو هونوفا، بدلاً من الجزر البريطانية، أو الاستيلاء على مصر، فتقطع بذلك شريان الحياة بين بريطانيا وبين الهند، واستقر رأى حكومة باريس على الخيار الأخير [٦].

قدَّر بونابرت موقع مصر الفريد، فهو معبر مطل على البحر الأبيض، النفاذ من جبل طارق، إلى الأطلنطي فالولايات المتحدة، كما تطل مصر على البحر الأحمر، الذي يمكن وصله بالبحر الأبيض، الذي يتدفق بمياهه، جنوبًا، حتى يدخل إلى بحر العرب، عند عدن، ويمتد إلى المحيط الهندي، ثم إلى المحيط الهادي. وأيضًا، هو بلد على رأس أفريقيا، وكتف آسيا. أرضه تصلح بطبيعتها السهلة، ومواردها الزراعية، لأن تكون قاعدة لجيش كبير، بأقل، ويسكن، ويستعد في أمان. فالاستيلاء عليها مقدمة ضرورية للتوسع الإمبراطوري، إلى الهند، ويتصدى لبريطانيا، ويتحدى سيطرتها على التجارة، والبحار [٧]. فاحتلال مصر كان يؤمِّن لفرنسا إمكانية تهديد طريق الهند عن طريق البحر الأحمر، والخليج العربي، ويتيح لها أن تستعيد المواقع التجارية الراسخة في بلاد المشرق، وتعوِّض عن فقدان جزر الأنتيل، التي احتلتها بريطانيا [٨].

أيقن بونابرت أهمية سوريا، أيضًا، ورأى بأن اتصالها غير قابل للانفصال عن مصر، فهما يشكلان زاوية قائمة، ضلعها الجنوبي مصر، الذي يتأثر به بالعرض الساحل الشمالى لأفريقيا، وبالطول إلى الجنوب، حتى منابع النيل، وسوريا ضلعها الجنوبي، على حدود بلاد العراق،

وشبه الجزيرة العربية، والخليج، والطريق إلى بلاد فارس، والهند.

وعى بونابرت الدرس ممن سبقوه من الفاتحين، لأهمية مصر وسوريا، فضلا عن التكامل بينهما الذي لو تحقق، كما حدث من قبل خلال حروب الفرنجة، لأصبح قادر ا على صنع قوة ذاتية، تشجع على الانفلات من قبضته، وتواجهه بما لا يتحسب له، حيث أن كلا ضلعي الزاوية، في بحث مستمر عن الضلع الآخر، بصرف النظر عن متغيرات الظروف، والعصور. هكذا تبلورت الرؤية الاستراتيجية لبونابرت، فلكي يحقق أحلامه كان عليه أن يسيطر على الضلع الجنوبي لزاوية البحر الأبيض الشرقية، مصر، فأنزل جيوشه إليها. ويؤمن سوريا الضلع الثاني، وهو يزحف عليها. ولعدم التقاء الضلعين، عربيًا وإسلاميًا، فكان لابد أن يبحث بونابرت عن مركز الزاوية، وهى فلسطين، ويزرع فيه جسمًا آخر، ليس عربيًا، ولا إسلاميًا، فتفتق ذهن بونابرت عن إنشاء " وطن قومى " لليهود، يكون ضمانًا إضافيًا. وجاءت ورقة اليهودية تصورا للمستقبل، ورؤية قابلة للتحقيق، حتى بعد أن أصبح إمبراطورا لفرنسا، كانت مصر، " وفكرة الوطن اليهودي " العازل، لا تزال تدور بخلده، فدعى، سنة ١٨٠٧، إلى عقد مجمع يهودي في سانهردين لكل يهود أوروبا، ممثلين في رؤساء طوائفهم، وكبار حاخامتهم، للم شمل اليهود، ونص أحد قرارات المجَّمع على " ضرورة إيقاظ وعى اليهود إلى حاجتهم للتدريب العسكري، لكى يتمكنوا من أداء واجبهم المقدس، الذي يحتاج إليه دينهم " [٩].

يعد بونابرت أول من دعا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، في

العصر الحديث، وأول غاز غربي للشرق العربي في العصر الحديث.

الجدير بالذكر أن بونابرت كان معاديًا لليهود، كما يدل على ذلك سجله في فرنسا، كما لايمكن الحديث عن وجود لوبي يهودي، أو صهيوني في فرنسا، وحين أطلق بونابرت دعوته، بل كان ذلك نابعًا من إدراك بونابرت للمصالح الاقتصادية والاستراتيجية للبرجوازية الفرنسية [١٠]. حيث ورد في مذكرات بونابرت، التي أملاها في منفاه، سانت هيلين، أنه حين عزم على تنفيذ مشروع حملته على مصر كان يقصد إنشاء دولة مشرقية كبيرة، وينوي، بعد توطيد مركزه في مصر، غزو الهند، وقدر وصوله إليها، شهر مارس/آذار ١٨٠٠[١١].

تعتبر حملة بونابرت على مصر، التي أسماها " حملة النيل "، بداية لعملية وراثة الخلافة العثمانية، والزحف منها إلى فلسطين، والشام، نادى بونابرت أنه الصديق الصدوق لخليفة المسلمين العثماني، وأنه الحريص على تثبيت سلطانة المهدد من المماليك في الداخل، أو الملوك المسيحيين في الخارج، ووصل ببونابرت الأمر إلى حد ادعائه اعتناق الإسلام [١٢].

بونابرت في مصر:

في ١٩ مايو / آذار ١٧٩٨، أقلعت الحملة الفرنسية من ميناء " طولون "، واستولى بونابرت على مالطة، في ١ يونيو/ حزيران ١٧٩٨، ودخل الإسكندرية، في ٢ يوليو/ تموز ١٧٩٨ [١٣]. ومع أخذ بونابرت بتحذير فولني، إذا أراد الاستقرار في مصر، فإن عليه شن ثلاث حروب، الأولى ضد إنجلترا، والثانية ضد الباب العالي، والثالثة - وهى أصعبهم - ضد المسلمين. إلا أن بونابرت قرر محاولة اجتذاب المسلمين، بدلاً من

محاربتهم، وذلك قبل أن يقلع بونابرت بحملته، فجهر بونابرت بعقيدته الدينية، عندما أصدر بيانًا، وقت نزوله من السفينة في الإسكندرية، جاء فيه، بعد البسملة والتوحيد بالله! إنه من طرف أمير الجيوش الفرنسية، بونابرت، الذي جاء ليخلص حقهم من الظالمين، المماليك، وليس للقضاء على دولتهم ودينهم، وهو يحترم الدين الإسلامي والنبى ◘ والقرآن الكريم.

توجة بونابرت إلى القاهرة، بحملته، التي حرص على إضفاء البعد العلمى والفنى عليها، فجاء مع الحملة بحوالى ١٦٧ مدنيا، علماء في الرياضيات، والفلك، والعلوم الطبيعية، وهندسة المناجم، والهندسة المدنية، والمعمارية، والإنشائية، والجغرافيا، والرسم والنحت، فضلا عن فنيين بارود ومتفجرات، وأدباء، وسكرتارية، ومترجمين، وشئون صحية، كما حمل الجيش معه مواد للطباعة بثلاث لغات، الفرنسية، والعربية، واليونانية، ومعملا كيميائيا، ومكتبة فيزياء، ومكتبة تاريخ طبيعى، ومرصد وتجهيزات كاملة لصناعة المناطيد، ولقيادتها.

بوصول بونابرت إلى القاهرة، في ٢٤ يوليو/ تموز ١٧٩٨، أصدر بيانًا رسميًا باللغة العربية، جاء فيه. " يا أيها المصريون، إننا حضرنا بقصد إزالة المماليك، الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار، وأخذ مال التجار، ومال السلطان. أما المشايخ، والعلماء، وأصحاب المرتبات، والرعية، فيكونون مطمئنين، وفي مساكنهم مرتاحين " [١٤].

يتضح أن رسائل بونابرت الإسلامية هذه حيلة سهلة لخداع المصريين جميعًا، العامة، والعلماء من مشايخ الأزهر، وتم خداعهم،

بالفعل، وصدَّقوه، ربما لضيقهم من حكام المماليك، أو لعجزهم عن حماية ديار الإسلام، وديارهم. فقد كتبت تلك الرسائل الإسلامية، وطبعت مع الرسالة الخاصة باليهود، وطبعت جميعها قبل أن تقلع الحملة الفرنسية من موانيها، وحرص بونابرت على عدم إعلانه عن الرسالة الموجهة لليهود، إلا عند دخوله فلسطين، لكى لا تؤثر على رسائله للمسلمين [١٥].

obeikandl.com

حملته على فلسطين:

ظلت فلسطين، منذ فجر التاريخ، مطمعًا لجميع الفاتحين، والمستعمرين، سواء كانوا آسيويين، أوغربيين، كالإسكندر، وبومبي، وغودفري، وقلب الأسد، وبونابرت [١٦].

تعتبر تلك الحملة بداية تنفيذ استراتيجية بونابرت، التي جاء من أجلها، حيث الوصول للهند، ودعم العناصر الثائرة على الحكم البريطانى هناك، وإنزال الهزيمة في أثمن جوهرة في إمبراطورية عدوته، بريطانيا، وأيضًا التوغل في أملاك الدولة العثمانية، والسيطرة عليها، ثم القسطنطينية، والبلقان، والنمسا، فيهزم الدول المتألبة ضد فرنسا، حتى يصل إلى باريس.

ثمة أسباب أخرى ظاهرة، أعاد إليها بونابرت حملته على فلسطين، عندما حاصره الأسطول الإنجليزي، وتحالف العثمانيون مع الإنجليز، واحتلت جيوش العثمانيين العريش، بقيادة أحمد باشا الجزار، هنا كانت الذريعة الفرنسية، " صد الجزار وجنوده عن الأراضي المصرية ".

جمع بونابرت زعماء البلاد المصريين، وأخبرهم بطريقته اللبقة، أنه ذاهب ليحارب إبراهيم بك وأتباعه في سوريا، دون السلطان، وحذَّرهم من أعمال الشغب، ملوِّحًا لهم بعقابه الشديد، لو حدث، ومكافأته لهم، إذا أخلدوا للسكينة، وأصدر بونابرت منشورًا باللغة العربية، قضى بالعفو عن المذنبين في ثورة القاهرة الأولى، وأمر بإعادة الديوان الخصوصي، لتسهيل مصالح الشعب [١٧].

توجه بونابرت بحملته إلى فلسطين، بعد انتصاره على المماليك، ودخوله القاهرة، في ٢١يوليو/تموز ١٧٩٨، والقضاء على ثورتها، في ٢١ أكتوبر/تشرين الأول ١٧٩٨. تألف الجيش الفرنسى المتجه إلى فلسطين، بقيادة بونابرت، من أربع فرق: فرقة الجنرال كليبر، وضمت ١٤٩٩ مقاتلاً، وفرقة الجنرال بون، وضمت ٢٤٤٩ مقاتلاً، وفرقة الجنرال لان، وضمت ٢٩٢٤ مقاتلاً، وفرقة الجنرال رينية، وضمت ٢١٦٠ مقاتلاً، أُضيف إليهم ٨٠٠ عنصر من الفرسان، بقيادة الجنرال مورا، و٣٢٠ من سلاح الهندسة، بقيادة الجنرال كافاريلي، ١٣٨٥ من سلاح المدفعية، بقيادة الجنرال دومارتان، فضلاً عن ٤٠٠ الإدلاء، الراجلين، وراكبي الخيول، و٨٨ من الهجانة، وبلغ مجموع رجال الحملة ١٢٩٤٥ مقاتلاً [١٨].

ادعى بونابرت إهانة الجزار لمبعوثه، الذي عرض عليه إقامة علاقات حسنة بين الطرفيين، وتحسين التجارة بينهما، فأرسل بونابرت فرقة استطلاعية، في ٣٠ يناير/كانون الثاني ١٧٩٩، بمهمة استطلاع. وأعدت قافلة من ١٥٠٠ جمل، لحمل المؤن من القاهرة، وأمر فرقة كليبر بمغادرة دمياط إلى قطية، وأعد أسطولا من السفن في الإسكندرية، لنقل مدفعية الحصار الثقيلة، التي استولى عليها الإنجليز، فيما بعد، قرب يافا. احتل بونابرت قطية، لتوفير المياه، ثم اتجه إلى العريش، التي تشكل نقطة الحدود بين مصر وبلاد الشام، التي أقام فيها الجزار، حامية من ١٥٠٠ مقاتل من المماليك والمصريين، والمغاربة [١٩].

كان كليبر وفرقته طليعة الجيش الفرنسى، تسللت كتيبة من فرقته إلى

معسكر العريش، فقتلت خمسمائة من الأهالى والجنود، وهم نائمين في ليلة رمضانية بالسلاح الأبيض، وأخذو باقي الأهالى أسرى، بعد أن استيقظوا من نباح كلاب المعسكر. ولولا ذلك لذبحوا جميعًا. ويصف بونابرت هذا الهجوم بأنه أجمل العمليات الحربية التي يتصورها العقل! (٢٠).

احتل كليبر ورينيه العريش، عدا قلعة العريش، وفي ١٠ فبراير/شباط ١٧٩٩، استقل بونابرت بعض السفن، وضم إليها ٢٠٤٠٠ مقاتل، ودخل العريش، وأصدر منشورا، أعلن فيه صداقته للعثمانيين، وحرصه على بقاء المسلمين، ومساجدهم، بعيدة عن الاعتداء، وطلب مساعدة السوريين له، واتبعه بمنشور آخر للمصريين، أخبرهم بمثول العريش له، وأنه اغتنم
منها أرز، وبقسماط، وشعير، وثلاثمائة رأس من الخيل، والجياد، والجمال (٢١).

بعد سبعة أيام من حصار العريش، وجرح وقتل مائتين وثلاثمائة من الفرنسيين، التحق ٤٠٠ من المغاربة الأسرى بجيش بونابرت، وجرد الباقي من السلاح، وأرسلوا إلى مصر. ثم تبدل ترتيب الفرق، فيما بعد العريش، فأصبحت فرقة كليبر في المقدمة، يرافقها الفرسان، بقيادة مورا، لاحتلال خان يونس، التي تبعد عن العريش نحو ستين كيلو مترًا، في ٢٢ فبراير/ شباط، وصلهم بونابرت، في اليوم التالى، وبقيت فرقة رينية في العريش، لحماية مؤخرة الحملة، بحيث تسير على مسافة يومين منها. والجدير بالذكر أن عددًا من الجنود توفوا، بسبب صعوبات اجتياز

الصحراء، وضل كليبر الطريق، فوصل بعد بونابرت، واستسلمت خان يونس، بدون قتال [٢٢].

سار بونابرت إلى غزه، مفتاح فلسطين الجنوبي، وكان الحر مخيفًا، والرياح العاتية تلفح الوجوه، وقلت المياه، وتعب الخيل والجنود، وبدأت روح التمرد والعصيان تبث في الجنود، حتى اجتازوا الصحراء، فتغير الجو، وهطلت الأمطار، فأصيب كثير من الجنود بالأمراض [٢٣].

دخل جنود بونابرت إلى غزه، ففر منها المماليك وجنود الجزار، بعد مقاومة قليلة، بعدها احتل كليبر بندر غزة، بدون معارضة له، واستولى على ما وجده من ذخائر، وبارود، وطعام. وأرسل الفرنسيون فرمانًا مكتوبًا من غزة إلى أهل مصر، لإخبارهم بذلك. وفي الوقت نفسه، وجه بونابرت إلى أهالي الشام فرمانًا، عند دخوله غزة، برر فيه حملته على فلسطين؛ " بقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم ". ومنح بونابرت للأهالي الأمان، وطالبهم بالعودة إلى أعمالهم، وحفل فرمان بونابرت هذا بالمفردات الإسلامية، حتى وصل إلى حد أن الله " يعطي النصر لمن يشاء " [٢٤]!.

أقام بونابرت إدارة محلية من الزعماء المحليين، إلى جانب الحامية الفرنسية في غزه، وذلك بعد أن تخلى حاكمها، عبد الله باشا، وفرسانه الـ (٢٠٠٠) عن الدفاع عن المدينة، وانسحاب مماليك إبراهيم بك إلى يافا.

في ١ مارس / آذار وصل كليبر وفرقته قرية اسدود، ثم قرية يبنا، قبل وصوله إلى الرملة، في ٢ مارس/آذار، ووجد الفرنسيون فيها مؤنًا

كثيرة، ومعدات، تركها المدافعون، الذين ارتدوا إلى يافا. وكان الهدف من احتلال الرملة حماية مؤخرة الفرنسيين، حين حصار يافا، والتحكم في طريق الرملة - القدس التجاري، الذي يربط بين القاهرة ودمشق، ولإحكام الحصار من تلك الجهة، لذلك ترك كليبر رينيه في الرملة [٢٥].

دخل جنود بونابرت مدينتي الرملة، واللد، بعد أن هرب منهما جنود الجزار، ووجد فيهما مخزون كبير من البقسماط، والشعير، ورأوا فيها ألفا وخمسمائة قرية مجهزة [٢٦].

في ٣ مارس/ آذار وصل بونابرت يافا، وهاجمها، بسرعة، ليؤمّن الاتصال البحري عن طريقها، مع دمياط، والإسكندرية، فتوجهت فرقتي الجنرالين، لان، وبون، إلى الشرق، والجنوب من المدينة، ورابطت فرقة كليبر عن نهر العوجا شمالي يافا بثمانية كيلو متر، لقطع الاتصال مع عكا[٢٧].

تمت محاصرة يافا من جميع الجهات، وأرسل بونابرت إلى حاكمها بأن يسلّم القلعة، قبل أن يحل بها الدمار، وفي اليوم التالي أمر بونابرت بحفر خنادق حول سور المدينة، وعمل متاريس أمنية، وحصارات متقنه حصينة، ونصب مدافعه بجانب البحر، لمنع الخارجين إليهم من مراكب الميناء. رأت حامية يافا المؤلفة من أربعة آلاف مقاتل تمترسوا بالقلعة، بأن جنود بونابرت قلائل، لاختبائهم في الخنادق، وخلف المتاريس، فخرجوا لهم جنوده، وقتلوا منهم عددًا كبيرًا من تلك الواقعة. أرسل بعدها بونابرت خطابًا إلى حاكم يافا، أخبره فيه بأن حضوره إلى يافا إنما جاء لإخراج الجزار وجنوده منها، لتعدية على أرض مصر بإرسال قواته إلى

العريش، وأخبره، أيضًا بمحاصرة يافا من جميع الجهات بالمدافع، وإمكان الفرنسيين دخولها في خلال ساعتين، وخوفه على الأهالي من بطش الجنود، وسطوتهم [٢٨]. أرسل بونابرت إلى الجزار ضابطا تركيًا لتسليمه المدينة، فقتله الجزار، هو والدليل، ورفع رأسيهما على الحراب فوق السور، فهاج بونابرت لهذا التحدى، وكان قد ضاق ذرعًا بهجمات فرق المغاوير العرب من خلف الأسوار، فشن هجومًا كاسحًا، دخل على إثره المدينة، واحتلها، واستباح فيها كل شيء[٢٩]. برغم سقوط يافا، بعد عدة ساعات من الهجوم، فإن الفرنسيين استمروا يقتلون بوحشية الأهالي، والشيوخ، والنساء، والأطفال الرضَّع، والصبيان، المسلمون، والمسيحيون، وازدادت شراستهم، كلما سمعوا صرخات الاستغاثة، فعمدوا إلى اغتصاب الفتيات أمام أمهاتهم، وواصلوا الغدر بالجنود، حيث وعدوهم بأن يعامَلوا كأسرى حرب، فقام ثلاثة آلاف جندي بتسليم سلاحهم، ومنهم مغاربة، وسوريون، وفلسطينيون، وأتراك. وكان هؤلاء الأسرى يشكلون مشكلة لبونابرت في طعامهم، وحراستهم، فهل يطلق سراحهم، فينضموا إلى عكا! وسرعان ما انتهى تردده، وأصدر قراره بإعدامهم جميعًا (ثلاث آلاف عربي)، وصف أحد المواطنين الفرنسيين تلك المذبحة، في خطاب لأمه، قال فيه: " أخذ الجنود المغاربة لشاطئ البحر، وقتلوهم رميًا بالرصاص، وكان أملهم في النجاة هو أن يلقوا بأنفسهم في البحر، والهرب بالسباحة، فضربوا بالرصاص على مهل، وسبحت جثثهم في بحر دمائهم، حتى القليل، الذين وصلوا بعض الصخور، صدرت الأوامر بالذهاب إليهم في قوارب، والإجهاز عليهم،

دون الإسراف في الذخيرة، فبلغت بهم الوحشية أن قاموا بطعنهم بالسونكي، وكان من ضمن الضحايا أطفال كثيرون، تشبثوا، وهم يموتون، بآبائهم، صف الأحياء من الأسرى متاريس من جثث رفاقهم، الذين استشهدوا، لتحميهم من طعنات السونكي "!.

بعد خمسة أسابيع من تلك المذبحة، طوَّق جيش والي دمشق قوات كليبر، في جبل طابور، جنوب بحيرة طبرية، واستمر يحاصره عشر ساعات، حتى كادت ذخيرتة تنفذ، واستبد العطش بجنود الفرنسيين، لكن بونابرت أنقذ قوات كليبر، بفرقة، قادها بنفسه، وأطلق المدافع، فبدأ جيش والي دمشق بالانسحاب، ليتوقى المدفعية، فأصبح هدفًا سهلاً لجنود كليبر، الذي أمرهم بمطاردة ذاك الجيش، فخاضوا البحيرة، لا ليشربوا، ولكن لِيَقتُلوا. وكتب أحد الجنود الفرنسيين، في مذكراته: " كنا نموت ظمأً. ولكن ظمأنا للانتقام، أطفأ ظمأنا للماء، وألهب ظمأنا للدماء، فخوضنا مياه البحيرة، ولم نعد نفكر في الشراب، بل في القتل، وصبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج، حتى امتلأت بجثثهم "!.

في ذلك الوقت، طبع بونابرت منشورًا لأهل فلسطين، قال فيه: " وسيكون الدين، على الأخص، موضع الحماية، والاحترام، لأن جميع الطيبات من عند الله ... والنصر من عند الله "!. فيما أثمرت جثث أهل يافا المتعفنة في شوارعها، ومتاريس جثث الجنود الأسرى التي ظلت على الشاطئ، وأسفل جبل طابور، عن مرض الطاعون، الذي ما لبث أن كان من أهم أسباب هزيمة بونابرت وجنوده، تحت أسوار عكا [٣٠].

أعاد بونابرت المصريين، الذين كانوا في يافا، بعد أن فشل في

ضمهم إلى الجيش الفرنسي، وكان بينهم السيد عمر مكرم، الذي هاجر إلى يافا، بعد معركة الأهرام [٣١].

بونابرت وفكرة الو ـن القومي:

لم يهمل بونابرت القدس، بل كانت في حسبانه، وقد نظر إليها من الوجهة العسكرية، دون الدينية، فطلب من حامية القدس تسليمها، فأجابته بأن مدينه القدس تابعه لعكا، فمتى فتحها تسلم إليه [٣٢].

الجدير بالذكر أن بونابرت ربط بين الوطنية، السباق الاستعماري، المسألة الشرقية، المسألة اليهودية، إذ أن يهود العالم موزعين، والحديث عن " العودة إلى فلسطين " نداء يتردد على لسان الحاخامات، بين حقبة وأخرى، ربما مرة كل ثلاثين أو أربعين سنه، ولم يؤخذ هذا النداء مأخذ الجد؛ لأن العودة خلط متعسف للأسطورة بالتاريخ، لكن المسألة اليهودية، في القرن التاسع عشر، أخذت على محمل آخر، فهي ذلك الاضطهاد الواقع على اليهود في أوروبا، وكانت موجات الهجرة من الشرق هي النقطة الحرجة من " المسألة اليهودية "، فلا مسيحيو الغرب يريدونهم، لضيق صدورهم باليهود المقيمين في بلادهم، كما أن يهود الغرب أنفسهم يرفضون وجودهم أكثر من المسيحيين، فهم نجحوا بالكاد في صرف الأنظار عن وجودهم، وتلك الهجرة سوف تثير حساسية أوضاعهم مع المسيحيين، مرة أخرى. ومن هنا بدأ بونابرت يأخذ عدة خطوات، استغل فيها شغف اليهود، وتدهور حالهم في أوروبا، وربط بين ذلك وبين قضايا القرن، لتنفيذ استراتيجيته وأطماعه الاستعمارية. مستعملاً ظاهرة " الوطنية " في

إيقاظ الوعي لدى اليهود، في حق تقرير مصيرهم، ومطالبتهم " بوطن قومي "، ينقذهم من الشتات، ويريح أوروبا من عبء الهجرة المتدفقة اليها من يهود شرق أوروبا. كما عزف بونابرت على الوتر الديني اليهودي، وأساطيره، لتكون فلسطين وطن اليهود المختار، من أملاك الخلافة العثمانية الواهنة، ويتسابق الكل على إرثها. فإذا نشأت دولة يهودية برعاية فرنسا في فلسطين، تكون نقطة البداية، لتنفيذ خطة السيطرة على قلب الخلافة العثمانية، قبل أن تنتبه القوى الأخرى، وتتحرك إليها [٣٣].

بونابرت رائدا:

يعد بونابرت أول رجل دولة، في العصر الحديث، يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين، قبل " وعد بلفور " بـ ١١٨ سنة، بل إن الرمز الصهيوني حاييم وايزمان وصف بونابرت بأنه " أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود ". اختار بونابرت الوقت المناسب للاعتراف بحقوق اليهود المزعومة، وذلك لخدمة مصالحه في حملة على الشرق. ففي ربيع عام ١٧٩٩، وبينما بونابرت على أبواب عكا، أصدر بيانًا طلب فيه من يهود أفريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه، لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة [٣٤]. ثم أظهر بونابرت ورقته اليهودية أمام أسوار القدس، نداء إلى يهود العالم، تم توزيعه في فرنسا، وإيطاليا، والأمارات الألمانية، وأسبانيا، مما يشير إلى أن القضية ليست ظرفًا محليًا واجهه بونابرت عند أسوار القدس. ورغم أن بونابرت لم يكن يهوديًا، ولا مواليًا لليهود، فلم تكن ورقته اليهودية ونداءه ليهود العالم من خارج أسوار القدس أكذوبة،

كحال ورقته الإسلامية، التي وجهها للمصريين، إبان دخوله بحملته إلى مصر، فعدد من وجه إليهم ورقته الإسلامية يفوق المليونين، في استطاعتهم أن يجعلوا مصر مصيدة لجيوشه، وليس رأس جسر، لذلك كانت ورقته خديعتهم.

أما ورقته اليهودية فتختلف؛ لأن اليهود في فلسطين لم يزد عددهم عن ١٨٠٠ شخصًا، طبقًا لتقرير مرفوع لبونابرت من ضباطه، منهم ١٣ في مدينه القدس، لم يكن في مقدورهم أن ينصروه، ولا أن يخذلوه، لذلك لم تكن ورقة بونابرت لليهود أكذوبة، أو خدعة سياسية، على غرار ورقته الإسلامية، بل هي رؤية لإمبراطور يملك حسًا استراتيجيًا نابهًا وبعيدًا [٣٥].

جاء نداء بونابرت ليهود العالم، على أنه من القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا، إلى " ورثة فلسطين الشرعيين "، وأنهم " الشعب الفريد " وحثهم على التمسك بوطنهم القومي، فهذا هو الوقت المناسب لذلك، وأن " العناية الإلهية ترعاهم وأرسلت إليهم بونابرت " لكي يحقق لهم حلم أجدادهم في استعادة أرضهم المغتصبة، من آلاف السنيين... إلخ [٣٦].

لم تكن هذه الورقة اليهودية هي أول نداء ليهود العالم من أجل أخذ " إرثهم الفلسطيني " المزعوم، بل سبقتها ورقة غير رسميه أخرى، عشية حملة بونابرت إلى الشرق، هيأت الساحة لتلك الورقة، انتشرت بين اليهود الإيطاليين، الذين اعتبروا بونابرت " محررهم العظيم "، وتضمنت الورقة غير الرسمية خططًا مفصَّلة عن بعث اليهود كأمة.

وظهرت الرسالة مطبوعة في فرنسا وإنجلترا، حيث كان ممثلو الرأسمالية الإنجليز يرقبون حملة بونابرت، والغيرة تملأ قلوبهم، ويلقون بالتبعية على الساسة الإنجليز، لإضاعة الفرصة من أيديهم. وفي إبريل/ نيسان عام ١٧٩٨، نشرت إحدى الصحف الفرنسية رسالة عبَّرت عن قناعتها بأن اليهود سيدعمون فرنسا في فلسطين، لتحمل نفقات الثورة في سوريا ومصر. ولعل من الأهمية بمكان أن مقدمة البيان خاطب اليهود، بشكل مباشر، على أنهم " الورثة الشرعيون لفلسطين ". ما أعاد إلى الأذهان نبوءات (أشعياء، ويوئيل) التوارتية، عن عودة اليهود إلى صهيون ". والأهم من ذلك أن الرسالة غير الرسمية تحدثت عن حدود دولة إسرائيل المقترحة، بعبارات تجارية أكثر منها توراتية: إن الدولة التي تنوي إقامتها ستشمل، بالاتفاق مع فرنسا؛ " مصر السفلى، بالإضافة إلى منطقة يحدها خط يمتد من عكا إلى البحر الميت، وهذا الموقع الذي يعد أكثر المواقع فائدة في العالم، سيجعلنا، عن طريق السيطرة على ملاحة البحر الأحمر، سادة تجارة الهند، والجزيرة العربية، وجنوب وشرق إفريقيا، والحبشة، وأثيوبيا " [٣٧].

أراد بونابرت كسب ولاء اليهود، لتمويل حملته المتجهة إلى الشرق، فهؤلاء اليهود قدموا قروضًا مالية للحكومة الفرنسية، وهناك، أيضًا، حاييم فارحي، اليهودي الذي يمثل العصب المالي والتمويني لمدينة عكا [٣٨].

لم يسع بونابرت لحل القضية اليهودية، بدافع من حبه للآخرين، ولم يكن يريد إنشاء " وطن قومي " لليهود، بل لأن مثل هذه الدولة تنسجم

واهتمامه السياسي، وتعد من أهم الركائز الأساسية لتنفيذ استراتيجيته، وخططه الاستعمارية لدول الوطن العربي. لكن السؤال: هل اليهود يدركون ذلك، وهل حاولوا هم، أيضًا، استغلال احتياج بونابرت لهم؟.

حصار عكا:

بعد أن ألقى بونابرت بيانه التاريخي ليهود العالم، على أبواب القدس، توجه بجنوده إلى عكا، لمحاصرتها، فهي العاصمة، والقلعة، ورأس الجسر، الذي يعبر منه لتكملة مسيرته الاستعمارية، لكن هيهات أن يحقق حلمه، وهناك ذلك الجزار، الذي ولد سنة ١٧٣٥ في بلاد البوشناق، فهو نصراني، بالولادة، اقترف وهو صبي، جرمًا أخلاقيًا، فر، على أثره، إلى القسطنطينية، وباع نفسه إلى نخاس يهودي، وسمى نفسه أحمد، وانتهى به الأمر مملوكًا عند علي بك في القاهرة، الذي عيَّنه جلادًا. وقد أظهر أحمد من التفنن في إنفاذ مهمته، ما أكسبه لقب " الجزار "، وكان شديد التفاخر بهذا اللقب، حريصًا على أن يكون جديرًا به [٣٩]. وقد اتبع الجزار سياسة إلقاء الفتن بين المشايخ والأمراء، وكان طائش السيف، ظالمًا، فسخط عليه عامة الشعب، والحكام في مصر، ففر إلى الأمير يوسف الشهابي في سوريا.

في سنه ١٧٧٠ قام بتحصين مدينة بيروت، ومنع أهل جبل لبنان من دخولها، وعزم على العصيان، ففطن لذلك الأمير يوسف، وهم بأن يبطش به، إلا أن الجزار خضع له، وأطاعه، ثم جاهر بالكفران عليه، وغلبه، كما أزال إمارة علي بن ظاهر العمر، بقتله، واستحوذ الجزار على ما كان يملك العمر وأهله من المقاطعات، واتخذ من عكا عاصمة له، وبنى

عليها سورًا، وجامعًا كبيرًا [٤٠]. أصبح الجزار صاحب النفوذ الأول في سوريا، عدا حلب، وتولى إمارة الحج. ولكن لقسوته تعرض لعدة ثورات، منها ثورة الأمير يوسف، الذي انضم إليه الدروز، والثوار، وانتصروا، في البداية، ثم سرعان ما هزمهم الجزار [٤١]. وما فتئ الجزار يقُتل، ويذبَح، ويثير الفتن بين المشايخ، حتى زادت ثقة الدولة العثمانية به، واعتمدت عليه، فازداد بطشًا وإرهابًا للناس [٤٢].

استمر الجزار في القضاء على خصومه، ومنافسيه، بلا رحمة، ولا شفقة، ولا يزال اسمه مرادفًا للقسوة البالغة. فقد ذكر ميخائل شاقة [*]، أن جده، الذي كان موظفًا في الحكومة شاهد يومًا، أكثر من أربعين رجلاً يُصفون خارج أسوار المدينة، لينفذ فيهم حكم الإعدام، بالخازوق، أورد المؤرخ نفسه أن الجزار أرتاب يومًا، بعد رجوعه من الحج، بتصرف حريمه، وعددهم ٣٧ امرأة، فأمر بحرقهن جميعًا [٤٣].

يعد الجزار من أهم الزعماء، في تلك المرحلة، التي اتسمت باحتدام الصراع بين دول الغرب والدولة العثمانية. أثناء تولي الجزار على صيدا، تصدى للفرنسيين، حيث اتبع سياسة وطنية للتجارة، فقام بطرد الجالية الفرنسية، التي كانت تحتكر التجارة فيها، وتحيا حياة البذخ والتبذير، إذ كانت تجارة منطقة سوريا وفلسطين مورد غنى للفرنسيين، كسبوا منها ثروات طائلة، وعلاوة على احتكارهم التجارة، فإن ثمة أسباب أخرى، وسَّعت هوَّة الخلاف بين الجزار والفرنسيين، منها سوء أخلاق هؤلاء التجار المقيمين في صيدا، وغيرها، وتعديهم المستمر على الآداب، وأيضًا تشجيع التجار الفرنسيين القراصنة المالطيين على

مهاجمة السفن العثمانية، لمنع التجار العثمانيين من مزاحمتهم، ولكي يحتكر الفرنسيون الأسواق المحلية، والتحكم في الأسعار [٤٤].

استحوذ القلق على الجزار، بنزول بونابرت مصر، وبدأ باتخاذ الاحتياطات اللازمة، وحث المسلمين على " الجهاد "، وتحالفت الدولة العثمانية مع الإنجليز، ووصل الأسطول الإنجليزي، بقيادة سيدني سمث، إلى عكا. وبعد أن وصلت أخبار يافا للجزار، صمم على المقاومة، معتمدًا على أسوار عكا، وبراعة جنوده، وعزز ذلك بخبرة فيليبو الفنية، وهو أحد النبلاء، الذين أجبرتهم الثورة الفرنسية على مغادرة فرنسا، قدمه له سيدني سمث، كمهندس حربي مختص بفن التحصين، والدفاع في حالة الحصار، وأيده في توصياته الخاصة ببناء سور داخلي، للإيقاع بمن يخترق السور الأول، أثناء الحصار.

أرسل بونابرت برسالة إلى الجزار، قال فيها إنه أتى لحماية المسلمين، ومحامل الحج الشريف، وللإبقاء على الصلاة، و " سوف تكونوا آمنين، وتفتحوا البنادر والمتاجر ". لكن الجزار لم يستمع إليه. فهو يخشى بونابرت، وإن كان لا يصدقة [٤٥].

وصل بونابرت عكا، في ١٨ مارس/ آذار، وكانت محاطة بأسوار وأبراج، وخندق عميق وعريض، وينقل الماء إليها بقناة محكمة البناء، ويدافع عنها حوالي سته آلاف جندي، وفيها حوالي ٣٠ مدفعًا، في الوقت الذي لا تتعدى فيه المدافع الفرنسية الاثنى عشر، سلطها بونابرت على البرج الرئيسي في الزاوية الشرقية لعكا [٤٦].

تولى الجزار الدفاع البري، والأميرال الإنجليزي، سيدني سمث، الدفاع البحري، وكان الجنود العثمانيون يفدون بكثرة، على الجزار، واستماتوا في الدفاع عن عكا، بعد أن اطلعوا على أنباء ما فعله بونابرت بحامية العريش، وغزه، ويافا. ولم يستطيع بونابرت استمالة أي من الأمراء، لخوفهم من بطش الجزار، وشدته. فأثناء حصار عكا أرسل بونابرت فرقًا إلى القاهرة، وصفد، ووقعت معركة بين الفرنسيين وجنود الأتراك، وحول جبل طابور، وهزم العثمانيين، وجاء بعضهم للتفاوض مع بونابرت [٤٧]. ووعد بونابرت إثنان من أبناء ظاهر العمر، الذي قام الجزار بقتله، ومعه خمسون شيخًا محليًا، منشقين على الجزار، أنه سيعيده إلى قصر أبيه، الذي اغتصبه الجزار، وتقديم المناصب والمؤن إليهم. واتصل بالأمير بشير الثانى الشهابى، أمير الدروز بجبل لبنان، لطلب المؤن، وحرص بونابرت على عدم مصادرة مؤن فلاحي فلسطين، لكي لا يثوروا ضده.

في ٢٧ مارس / آذار، تسلق جنود بونابرت أسوار عكا، ولكنهم صُدوا، بقوه، وتكبدوا خسائر جسيمة، إن جنود عكا ردوا بهجوم مضاد، كبدوهم خسائر كبيرة، عكس ما كان يعتقد بونابرت بأنه سوف يحتل عكا في الهجوم الأول، بدأ التذمر ينتشر بين جنود بونابرت، بسبب عدم استطاعتهم احتلال عكا، بعد ردهم على هجوم الجزار، في ٢ إبريل / نيسان، وتكبدهم خسائر فادحة [٤٨].

حرص بونابرت على احتلال المناطق المجاورة لعكا، ترقبًا للهجوم العثماني، فأرسل الجنرال فيال، في ٤ إبريل / نيسان، أربعة آلاف جندي

إلى صور، واحتلها، ونزل فيها بعض الجنود، ثم وجه قوات إلى طبرية، وأرسل الجنرال مورا، لاحتلال قلعة صفد، بهدف تأمين الطريق بين دمشق وفلسطين، والجنرال جينو إلى الناصرة، لمراقبة الطريق عبر نهر الأردن [٤٩].

في ١٦ إبريل/ نيسان، استولت قوتان عثمانيتان، قدمتا من دمشق، بقيادة عبد الله باشا، والى الشام، وجنود مماليك، بقيادة إبراهيم أغا، وجنود آخرين من سوريا، ومصر، والأتراك، وفلاحي نابلس، والمغرب على طبرية، وقريه لوبية، وسيطروا على طريق طبرية - الناصرة.

اتجه كليبر من عكا إلى الناصرة، بناء على تعليمات بونابرت، في ٩ إبريل/ نيسان، لمساندة جينو في هجومه على العثمانيين الموجودين في طبرية، وكانت القوات العثمانية قد أخذت جبل طابور، وقرية الفولة، في مرج بن عامر، مركزًا لها، وكان عددهم ثلاثين ألفًا، وقوات كليبر ٥٠٠ جندى، وأربعة مدافع.

أمر بونابرت كليبر بمهاجمة القوات العثمانية، واندلع قتال بين الطرفين، وكاد كليبر أن يُهزم، لولا وصول بونابرت له، وهُزمت القوات العثمانية في جبل طابور. في ١٧ إبريل / نيسان استولى بونابرت على ذخائر ومؤن كثيرة، واستعاد صفد، واحتل طبرية، ونهب وأحرق قرى الفوله، ونورس، وجنين، وقدر خسائر العثمانيين بثلاثة آلاف، والفرنسيين بثلاثمائة، بين قتيل وجريح. وعاد بونابرت إلى عكا، وحاصرها، وعهد إلى فرقة كليبر بحماية جسر بنات يعقوب، وحصني صفد، وطبرية من القوات العثمانية، ثم عاد، بعد ثلاثة أسابيع، إلى عكا،

وبقي الجنرال جينو في الناصرة، للمحافظة على صفد، وطبرية، وفي هجوم فاشل من بونابرت على عكا، توفي على أثره قائد سلاح الهندسة الفرنسي، كافاريلي، ورد عليهم الجزار، بمساعدة الإنجليز، بهجوم مضاد، ووصلت نجدات عثمانية إلى عكا، بطريق البحر، ضمت أكثر من عشرة آلاف مقاتل، حاول بونابرت منع وصولها، ولكن، وصلت، بعد بعض الخسائر (٥٠).

بثبات الجزار، وشجاعته الفائقة، جعلت بونابرت يجمع جنوده، وخطب فيهم خارج أسوار عكا، فقال: " هذه المدينة هي مفتاح الشرق، فاعلموا حرج مركزكم، ووحدوا عزائمكم على امتلاكها؛ لأنكم بامتلاكها تسلمون لدولتكم مفتاح الشرق، فتدخل القسطنطينية، عاصمة قياصرة الروم، ونملك شرقي أوروبا وشماله، فاعلموا ذلك واخلصوا نياتكم ". ما ألهب حماس جنوده، فاقتحموا الخنادق، وفتحوا ثغرات في الأسوار، وهزموا الحامية، ودخلوا البلدة، حتى وصلوا الجامع الكبير، فخرج الجزار يقاتلهم بنفسه، ويحرض الجنود على الثبات، وكان يفتك بكل من يعمد إلى الفرار من مقاتليه، فاستبسلوا حتى ردوا بونابرت، وجنوده خائبين (٥١).

في ١١ مايو / آيار هاجم بونابرت عكا، لمدة ثلاثة أيام متصلة، انتهى بخسائر للجانبين. وفي ١٢ مايو / آيار شن الجزار هجومًا على الفرنسيين. وبانتشار الطاعون بين جنود بونابرت، وتعدد هجمات جنود الجزار، باءت محاولات بونابرت بالاستيلاء على عكا بالفشل، فكتب لحكومته في باريس بقرار انسحابه إلى مصر، حيث رأى بأنه حتى لو

استولى على عكا، فستكون مقبرة له، بسبب الطاعون، ونقص المؤن، وتصميم العثمانيين، والإنجليز، على المقاومة، حيث كان العثمانيون يعدون لإرسال جيش من أجل طرد الحملة من مصر، وحاول بونابرت التفاوض مع الجزار، وسيدني سمث، لوقف القتال، ورفضا، وتأكد بونابرت بأن عكا لن تسقط، فرفع الحصار عنها، وانسحب إلى مصر (٥٢).

لعل من أهم أسباب فشل بونابرت في احتلال عكا:

١- كان تحصين الإنجليز لعكا، ومساعدتهم الفعَّالة، التي جعلت من الحصار كأن لم يكن، بإيصال المؤن إلى عكا، وإمداد الجزار بالعتاد، كما أنزلوا إليه الأسطول العثماني، واستولوا على آلات، ومدافع الأسطول الفرنسي، وسلَّموها للجزار، كي يستخدمها.

٢- فيليمو، ذلك الفرنسي الذي حارب بونابرت، نكاية بالثورة الفرنسية، منظم الدفاع عن عكا، بشكل فني، حتى قال كليبر بأن الجزار يدافع بالطريقة الأوربية (٥٣).

٣- كان بونابرت قد بدأ في غزو فلسطين، معاصرًا لتجدد التصميم من حركات المقاومة في مصر على الجهاد، ومنها واقعة مراد بك مع الفرنسيين في الصعيد، التي قتل فيها زهاء ثلاثمائة فرنسي، ما جعل موقف بونابرت في حرج، في محاولة لإخماد الانتفاضة الشعبية، في الداخل، وصراعه مع الجزار في الخارج.

٤- كانت مشاركة أهل الحجاز، ومحمد المغربي الذي صار له جيش

كبير، من ضمن العوامل، التي ساعدت في هزيمة بونابرت.

٥- موت الجنرال بون، متأثرًا بجراحه، وأيضًا، الجنرال كفرللي، الذي قام بإقامة المتاريس، والذي يصعب تولى غيره أمرها.

٦- نقض الصلح بين فرنسا والنمسا.

٧- كان مرض الطاعون، الذي فتك بالجنود، وكاد يقضى عليهم جميعًا، مع نقص المؤن، من أهم العوامل، أيضًا [٥٤].

للأسباب السابقة مجتمعة، لم يكن لبونابرت، أو كليبر مجد في عكا، فقد قال بونابرت: " لو استطعت الاستيلاء على عكا، للبست عمامة، ولجعلت جنودي يرتدون السراويل، ولجعلتهم فيلقًا مقدسًا، ولنصَّبت نفسي إمبراطورًا على الشرق، ولعدت إلى باريس، بطريق القسطنطينية ". لكن هذه الأحلام دفنت تحت أسوار عكا. المجد الذي تحقق في حملة الشام، حققته عكا، بصمودها ٦٢ يوما تحت الحصار، ونيران المدافع الفرنسية، ومع ما فتحته، من ثغرات من أسوارها، والهجوم عليها، والمذابح الوحشية التي ارتكبها جنوده [٥٥].

في ١٩ مايو/ آيار تم إجلاء ألف ومائتي جريح فرنسى بحرًا باتجاه دمياط، وأتلفت الحامية الفرنسية، بقيادة جينو، مستودعاتها في طبرية، قبل أن تنسحب إلى صفوريه. وفي عكا أتلف الفرنسيون مدفعيتهم الثقيلة، ولم يفتهم هدم الأقنية التي تزود عكا بالماء.

في ٢٠ مايو / آيار انسحب بونابرت من عكا، دون أن يحقق حلمه في الاستيلاء عليها، وقامت فرقة كليبر، والفرسان، بحماية المؤخرة، إلى

أن يتم الانسحاب، فغادرتا عكا، وهدما الجسور على نهر كيسون.

خلَّف بونابرت وراءه في حيفا حوالي مائة من الجرحى والمرضى الفرنسيين، وآخريين في خنطورة، وصادر جياد الجند، لنقل المرضى، وأتلف ذخائر، ومدفعية أخرى، تعذر نقلها لمصر.

في ٢٣ مايو/ آيار وصل بونابرت إلى قيادية، وأتلف جزءًا آخر من مدفعيته، وبطش بأهلها، عندما حاولوا مهاجمة الحملة.

في ٢٤ مايو/ آيار وصل بونابرت إلى يافا، وأقام فيها أربعة أيام، أتلف خلالها تحصين لهم، ومستودعاتهم، في الوقت الذي مات فيه نصف حامية يافا من الطاعون، علاوة على ألف جريح، ومصاب، نُقل منهم ثلاثمائة، عن طريق البحر، وقُتل بعضهم بالسم.

فرض بونابرت على أهالي يافا غرامة، قدرها ١٠٧ر١٧٤ليرات ذهبية، حصَّلوا على ٦٠٨ر٨٥، فورًا، وأخذوا الرهائن، حتى يدفع المبلغ الباقي. وأحرقوا المراكب في ميناء المدينة. وغادر بونابرت يافا، في ٢٨ مايو/ آيار، وتخلَّف كليبر، يومًا، لحماية المؤخرة، وقام جنوده بسرقة القرى، وحرقها، إذا هاجمتهم، ووصل غزه، في ٣٠ مايو/ آيار، وتوقف فيها يومين، لفرض الضرائب على أهلها. وترك فيها عددًا من المرضى المصابين بالطاعون، بعهدة أعيان المدينة، وأخذوا منهم الرهائن، وصل بونابرت خان يونس، في ١ يونيو/ حزيران، ومنها للعريش، ثم إلي قطبة.

وصل بونابرت القاهرة، في ١٤ يونيه / حزيران ١٧٩٩، بعد قرابة

أربعة أشهر ونصف، قضى منها في فلسطين حوالى ثلاثة أشهر ونصف، أسفرت عن خسائر في جنوده، كالآتي: عدد القتلى والمتوفين ٤٤٠٠، منهم ٣٩٢٠ قتلى ومتوفون بسبب جروحهم، ٤٨٠ متوفى بسبب الطاعون، ٢١٥٠ جريح. فيكون مجموع الإصابات ٦٥٥٠، وكان مجموع أفراد الحملة، في بدايتها، ١٢٩٤٥ [٥٦].

هكذا عاد بونابرت إلى القاهرة، بعد أن نقص جيشه، بمقدار الثلث، لكنه قام بتنظيم استقبال ظافر. وأصدر بيانًا باللغة العربية، لإبلاغ سكان القاهرة بأنه لم يعد ثمة حجر فوق الآخر في عكا، " إلى حد أنه يمكن للمرء أن يتساءل، فيما إذا كانت توجد مدينة في هذا المكان من قبل ". وظهر بأن القائد العام الذي لم يفلح في استخدام ورقة العربية عاد، مرة أخرى، للإسلام. فقد أوضح بأنه " يحب المسلمين، ويحترم النبى ". ويعتزم " بناء جامع، لامثيل له في العالم ". بل حتى " سيعتنق الدين الإسلامي " [٥٧]!.

بيد أن القصة لم تكتمل فصولا.

كليبر يخلف بونابرت:

عاد بونابرت، سرًا، إلى فرنسا، في ١٨ أغسطس/ آب ١٧٩٩، وأشاع بأنه يقصد الذهاب إلى منوف، بحجة التفتيش على أحوال البلاد [٥٨].

إنه بونابرت نفسه، الذي جاء، قبل ذلك بثلاث سنوات، ليبني إمبراطورية فرنسية شرقية، تضرب إنجلترا في الصميم، وتقطع طريق

تجارتها إلى الهند. ضاع كل هذا، ومعه نصف جيشه، تحت وطأة، الطاعون، والثورات، وأمام أسوار عكا.

خلفه كليبر في التركة المثقلة بالديون، حتى وصل العجز في خزانة الحملة الفرنسية، إلى عشرة ملايين من الفرنكات، وتدهورت معنويات قوات الحملة، فهل يستطيع كليبر الخروج من المحنة؟ (٥٩).

لقد اختار كليبر لنفسه أسلوبًا آخر، يختلف عن بونابرت، فأحاط نفسه بمظاهر الأُبهة والجبروت، متخيلاً بأنها تؤثِّر في العرب، وفرض على الشعب أن يؤدى له ما كان يؤديه للباشوات والولاة المماليك من مظاهر الإجلال والتكريم (٦٠).

بطش كليبر بالمصريين " قتلاً، وحرقًا، وسبيًا للنساء، والبنات، والغلمان ". وأفلس البلاد، بالغرامة الوحشية، كما زرع الأحقاد التي تهدد وجود الأمة، ووحدتها، وتحولها إلى نفاية، فإذا بالأمة تقذفه إلى الفناء، على يد سليمان الحلبى (٦١).

ولد سليمان محمد آمين الحلبى، في حلب، عام ١٦٩١هـ / ١٧٧٧م، لأب تاجر زبد بمدينة حلب السورية. وهو شاب كثير التجوال، عاش ثلاث سنوات في مكة، والمدينة، ودرس بالأزهر، ثلاث سنوات متصلة، على يد الشيخ مصطفى أفندي، وزار القدس، ونابلس، وغزه.

في بداية عام ١٨٠٠ رحل سليمان من حلب إلى فلسطين، مكدودًا وضائقًا لما فرضه والي حلب العثماني، إبراهيم باشا، على أبيه من غرامة كبيرة، وحاول سليمان البحث عن عمل، وقضى خمسة أشهر،

بجوار المسجد الأقصى، وعلم سليمان بما فعله بونابرت بأهل يافا، وجنودها، وبحامية دمشق، ومعسكر العريش، وشاهد سليمان آثار التدمير بنفسه. ذهب سليمان إلى أحمد أغا، محافظ القدس، نهاية مارس/ آذار ١٨٠٠م، يشكو ما يلاقيه والده الحاج محمد أمين من اضطهاد، وضرائب، وغرامات، من محافظ حلب، وتعددت اللقاءات بينهما، وطرح مشروع اغتيال كليبر نفسه على لقاآتهما.

توجه سليمان إلى القاهرة، لتنفيذ مهمته، وطلب منه أحمد أغا السفر إلى غزه، ليلتقى شخصًا اسمه ياسين أغا، الذي سيقدم له المساعدات اللازمة لتنفيذ المهمة. غادر سليمان القدس إلى الخليل، ظل بها عشرين يومًا في انتظار قافلة يرافقها إلى غزه، ليكون في مأمن من قطَّاع الطرق، ووصل إلى غزه، في نهاية إبريل / نيسان ١٨٠٠م، والتقى بياسين أغا، الذي كان على علم بمهمة سليمان، ورتب له إقامة مؤقتة في جامع غزة الكبير، وتردد عليه، عدة مرات، ليلاً، للتباحث، ووعده ياسين برفع الاضطهاد عن أبيه، وأن يشمله بحمايته، وأعطاه مصاريف سفره، وأوصاه بالحذر، والكتمان، وألا ينفذ المشروع، إلا بعد أن يتأكد من نجاحه. واشترى سليمان الخنجر، الذي قتل به كليبر، من غزه، والتحق بأول قافلة من غزه إلى القاهرة، محمَّلة بالصابون، والدخان، واصلت السير، لمدة ستة أيام، قضاها سليمان على ظهر هجين.

وصل سليمان القاهرة، في منتصف مايو/ آيار ١٨٠٠م، ولا تزال آثار الحريق موجودة في كل شوارعها، فحطَّت القافلة في قرية بجوار الجيزة، لمنعها من دخول القاهرة، لظروف المدينة [٦٢].

دخل سليمان القاهرة، في ١٤ مايو/ أيار ١٨٠٠ م، واستضافه، لمدة قصيرة، الشيخ مصطفى أفندي، أستاذه، الذي تعلم على يديه الخط، وحفظ القرآن، قبل ثلاث سنوات.

نقل سليمان إقامته إلى الجامع الأزهر، والتقى بأربعة من أصدقائه، جميعهم من غزه، طلاب فلسطينيين في الأزهر، وهم عبد الله الغزي، وأحمد الوالي، ومحمد الغزي، وعبد القادر الغزي، الذين سهَّلوا له إقامة في الأزهر، دون إخطار السلطات الفرنسية [٦٣].

مكث سليمان شهرًا بالأزهر، قبل قتله كليبر، لمس عن قرب اضطهاد، وإهانة، وتعذيب كليبر للشيخ السادات، الذي تزعم ثورة القاهرة الأولى، والمحرِّض على الثورة الثانية، من فرض غرامة، مالية كبيرة عليه، واعتقاله، وتعذيبه، وضربه أمام زوجته، التي حبسوها معه، ومصادرة أمواله، وبيع أملاكه، لدفع الغرامة التي فرضها كليبر عليه، ناسيًا مقامه، كرجل دين، ونسبه، ومولده، المستمد من السلالة النبوية، فعم السخط رجال الشارع، وعلماء الدين، والشعب، ناهيك عما تكبده الشعب، بكل طوائفه، من مهانة، ونهب لأموالهم، وفرض غرامات، واعتقال لأعيانهم، وقتل أبنائهم[٦٤].

هكذا وجد سليمان القاهرة في أسوأ أحوالها. ورغم الصعوبات التي انتصبت في وجه تنفيذ مهمته، فإنه ظل يبحث ويدرس أنسب مكان، ووقت، لاغتيال كليبر. حتى جاءت اللحظة الحاسمة، في يوم ١٤ يونيه/ حزيران ١٨٠٠م، أثناء تفقد كليبر بصحبة المسيو بروتان، المهندس المعماري، وعضو لجنة العلوم والفنون، أعمال الترميم في دار القيادة

العامة، ومسكن القائد العام الخاص به، لإزالة آثار الإتلاف، الذي أصابها من جراء ثورة القاهرة الثانية، إذ خرج عليهما سليمان، واقترب من كليبر، كمن يريد أن يستجديه، أو يتوسل إليه، فلم يرتب فيه، ولم يلتفت إليه، فعاجله سليمان بطعنة خنجر مميت، أصابته في صدره، ثم تلتها عدة طعنات قاضية عليه، وعلى آماله في تخليد مركزه، وتحقيق مشروعاته السياسية، والحربية، في وادي النيل، ولاذ سليمان بالفرار، مختفيًا في حديقة السراي[٦٥].

اتجهت أنظار الفرنسيين، في بادئ الأمر، إلى اتهام العلماء، الذين قاموا بالتحريض على ثورة القاهرة الثانية، ففتشوا بيوتهم، ولم يجدو ما يدينهم[٦٦].

انتشر خبر مقتل كليبر، بسرعة البرق، وتلقاه الأهالي بالدهشة، والجزع الشديدين، لتوقعهم الانتقام، والنكال، وتلقاه الفرنسيون بالغضب، والسخط، والتحفُّز للإنتقام، فتجمع الجنود ينادون بالأخذ بالثأر، ويهددون بإحراق المدينة، ويضربون، ويقتلون من صادفهم من الرجال، والأطفال، فخلت الطرق من المارة، وأغلقت المحلات أبوابها، وأخذت دوريات الجنود تجوب الشوارع للبحث عن سليمان، وبعد ساعة عثروا على سليمان، مختبئًا في الحديقة الملاصقة لدار القيادة، وأُرسل إلى دار أركان الحرب، مع اثنين من ضباط الحرس الملازمين للجنرال كليبر، حيث كان قواد الجيش مجتمعين، بعد ضربه، وتعذيبه [٦٧].

انتهى التحقيق، في اليوم نفسه، وتحدد اليوم التالي (١٥ يونيو/ حزيران ١٨٠٠) لبدء المحاكمة، وأصدر الجنرال مينو، خليفة كليبر،

أمرًا بتشكيل المحكمة من تسعة من قادة الجيش الفرنسى، وأشرف مينو على التحقيق، بنفسه.

في الجلسة الأولى أجرى التحقيق، وجمعت أدلة الاتهام، وأسفر اتهام ستة أشخاص، هم: سليمان الحلبى، والأزهريين الأربعة، محمد الوالي، عبد الله الغزي، عبد القادر الغزي، ومحمد الغزي، وأستاذه الشيخ مصطفى أفندي، الذي نزل عليه عند وصوله القاهرة.

انعقدت المحكمة، في ١٩ يونيو/ حزيران ١٨٠٠، وأدانت سليمان، الذي قال، بعد تعذيبه، إن اسمه سليمان، عمره ٢٤ عامًا، صناعته كاتب عربي، وسكنه حلب، واعترف بقتله كليبر، ومن أهم ما قاله، بعد أن رفعوا عنه الضرب، إنه جاء من غزه إلى مصر، ليغازي في سبيل الله.

لم يحلم البطل سليمان بمجد، فجاءت كلماته بسيطة، ومعبِّرة لهدفه الواضح، الجهاد في سبيل الله. ظل البطل صامتًا هادئًا، أثناء محاكمته، رجل فعل ما يريد، ولا يعنيه ما يجري حوله. ولو تكلم هذا البطل، لنقلت جثة كليبر إلى قفص الاتهام، ليعرف، حقًا من هو صاحب اليد الأثيمة المغتصب، ومن هو القائد الجليل؟! [٦٨].

حكمت المحكمة بحرق يد سليمان اليمنى، ثم يوضع على الخازوق، حتى يموت، ويترك لتنهش الطيور جسده، والحكم على الشيوخ الأربعة، بقطع رؤوسهم، لاشتراكهم في الجريمة، بعدم إبلاغهم، رغم علمهم مسبقًا بها، والإفراج عن الشيخ مصطفى أفندي.

تم تنفيذ حكم الإعدام في ثلاثة من الشيوخ، وإحراق جثثهم، أمام

سليمان، وأنقذ عبد القادر الغزي، الذي لاذ بالفرار، بعد مقتل كليبر، وحكم عليه، غيابيًا.

في ١٧ يونيه / حزيران ١٨٠٠، أُنزل نعش كليبر على تل العقارب، مكان تنفيذ الحكم على سليمان الحلبي، فأطاح بارتلميى (*) برؤوس الشيوخ الثلاثة، ورفعها فوق عصا طويلة، وغرسوها الجنود الفرنسيون في أرض التل، وأشعلوا النار في جثثهم، أمام سليمان، ثم نُفِّذ الحكم على سليمان، بوضع كفه الأيمن في الجمرة، ولم يتكلم البطل والنار تأكل لحمه الحي، ولكنه اعترض، عندما تعمد بارتليمي أن تطول النار مرفقه، منبهًا إياه بأن الحكم لم يذكر إلا اليد فحسب، وتشاجر معه، وأصر على حقه، وبعد ذلك بدأ في تنفيذ باقي الحكم، فقام بعملية الخزوقة، بمهارة، أحضر بارتليمي قضيبًا مدببًا من الحديد، ثم بدا في إد خالة في شرج البطل، بالدق بمطرقة خفيفة، حتى لا يحدث نزيفًا يؤدي إلى موته، قبل أن يتعذب، بما يكفي، ثم رفع الخازوق قائمًا، وعليه سليمان، ثم غرس في الأرض، لتأكله الطيور الجارحة.

عندما دفن جثمان كليبر، كان الشهيد سليمان الحلبي جالسًا على خازوقه، فوق تل العقارب، يصلي (٦٩).

استشهد البطل سليمان الحلبي، مرفوع الرأس، وشارك من قام بإصدار الحكم عليه وتنفيذه، في أن تظل رأس الشهيد مرفوعة، رغم أنفهم جميعًا، بدون أن يقصدوا ذلك.

احتفظ الفرنسيون بالهيكل العظمي للشهيد سليمان، ووضعوه في

حديقة بباريس، كما احتفظوا بجمجمته في غرفة التشريح بمدرسه الطب بباريس، ثم وضعوها، بعد ذلك في متحف الإنسان، ولا يزال خنجره في مدينة كاركسون بفرنسا [٧٠].

يعد الشهيد سليمان الحلبى نموذجًا للمجاهد الإسلامي، والثوري الشرقى، الذي وهب حياته لتأكيد الوحدة العربية، من قبل قرنين.

ثمة عدة تساؤلات يثيرها هذا العمل البطولي للشهيد والبطل القومي سليمان الحلبى: هل هي حادثة فردية، انتقامًا لوالده، كما ادعى الفرنسيون، أم أثاره ما سمعه، وما شاهده من أفعال بونابرت، وجنوده، بأهل فلسطين، ومصر؟ أم كان تعذيب كليبر لأستاذه وشيخة الجليل، السادات، وراء سخطه، واندفاعه لقتل كليبر؟.

أم كانت تلك الأسباب مجتمعة، وراء تصميم الحلبي على قتل كليبر، اعتقادًا منه بأن قتل الرأس ينهي الجسد، وبالقضاء على كليبر ستنتهى الحملة الفرنسية.

أم كان البطل ضمن تشكيل وتنظيم قومي، خطط، ونفَّذ، باقتدار، عملية اغتيال القائد العام لقوات الاحتلال، التي تتميز بضخامة الهدف، مع ضآلة الخسائر، بالنسبة للتنظيم الثوري، الذي نفذها، حيث لم تسقط سوى الخلية المنفِّذة فحسب.

سواء كانت حادثة فردية، أم كانت مخططًا من تنظيم قومى، فإن الشهيد سليمان الحلبي، يعد نموذجًا للمجاهد الإسلامي، والثوري القومي، الذي وهب نفسه لتأكيد الوحدة العربية [٧١].

لقد أدى مقتل كليبر إلى ارتياب الفرنسيين بالأزهر، إذ كان يأوي إليه الشهيد سليمان الحلبي، ورفاقه، ولم يقتنع الفرنسيون بعدم علم علماء الأزهر بمقتل كليبر، فذهب الجنرال مينو، الذي تولى قيادة الحملة بعد كليبر، مع بعض أركان قيادته، وطافوا بالأزهر الشريف، وشرعوا في الحفر فيه، بحجة البحث على السلاح، فلما رأى العلماء أن الأزهر أصبح عرضه للريبة، عرضوا على الفرنسيين إغلاقه، مؤقتًا، وقد كان [٧٢].

في ١٨ أكتوبر / تشرين الأول ١٨٠١، أبحر الجنرال مينو من الإسكندرية، متجهًا إلى فرنسا، باعتباره آخر أفراد حملة بونابرت عل الشرق.

وبذا أسدل الستار على الحملة الفرنسية برمتها، سواء منها ما جعل مصر وجهته، أو ما حاول غزو فلسطين، من بعد.

* * *

مراجع الفصل العشرون

(١) عبد الوهاب كيالى، **المطامع الصهيونية التوسعية**، سلسة " دراسات فلسطينية " (٣)، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٦، ص ١١ - ١٢.

(٢) عبد الوهاب محمد المسيرى، **موسوعة اليهود والصهيونية**، الجزء الرابع، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(*) الغيتو: مفرد " غتوات "، وهى أحياء اليهود المسورة، والمغلقى، وقد عمت أقطار أوروبا كلها، قبل أن تنهار تحت ضربات الثورة البورجوازية، هنا وهناك.

(٣) م. محمد حسن، **موسوعة القدس**، (اسطوانة)، شركة سفير، القاهرة.

(٤) جاك فريمو، **فرنسا والإسلام**، ترجمة هاشم صالح، دار الأرض للنشر، نوقوسيا، ط ١، ١٩٩١، ص ٣٢.

(٥) عبد الرحمن الرافعى، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم**، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مكتبة الأسرة، ١٩٩٨، ص ٦٦.

(٦) ج. كرستوفر هيرولد، **بونابرت في مصر**، ترجمة فؤاد اندراوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٣ - ١٤.

(٧) محمد حسنين هيكل، **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ط ٩، ص ٣٥ - ٣٦.

(٨) فريمو، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٢.

(٩) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٦ - ٣٨.

(١٠) د. عبد الوهاب المسيرى، **اليد الخفية دراسة الحركات اليهودية الهدامة والسرية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠، ص ٢٥٨.

(١١) الرافعى، الجزء الأول، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٦.

(١٢) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠ - ٣١.

(١٣) د. ليلى عنان، **الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير؟**، دار الهلال، القاهرة، العدد ٥٦٧، ١٩٩٨، ص ١٥٤.

(١٤) روبير سوليه، **مصر ولع فرنسى**، ترجمة لطفى فرج، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩، ص ٣٣ - ٣٧.

(١٥) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣١ - ٣٢.

(١٦) عمر الصالح البرغوثى وخليل طوطح، **تاريخ فلسطين**، مطبعة القدس، القدس، ١٩٢٣، ص ٢٤٠.

(١٧) نادر العطار، **تاريخ سورية في العصور الحديثة، دور حكم السلاطين الفعلى في العهد**

العثماني (١٥١٦ - ١٩٠٨)، مطبعة الإنشاء، دمشق د. ت، ص ١٢٥ - ١٢٧.

(١٨) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٩٠ (د. عبدالكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين (١) من مطلع القرن العاشر الهجرى / السادس الميلادي إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى، ص ٧١٩ – ٧٢٠).

(١٩) **المصدر نفسه**، ص ٧٢١.

(٢٠) صلاح عيس، **حكايات من دفتر الوطن**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨، ص ٨٠ - ٨١.

(٢١) العطار، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٨.

(٢٢) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٢١.

(٢٣) العطار، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢٤) محمد قنديل النقلي، **المختار من تاريخ الجبرتى**، الجزء الثالث، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢٥) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٢١.

(٢٦) النقلي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠٢.

(٢٧) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٢١.

(٢٨) ا لنقلى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠٣.

(٢٩) العطار، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٣٠) عيسى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨١ - ٨٣.

(٣١) عبد الرحمن الرافعى، **مصر في مواجهة الحملة الفرنسية**، الهيئة العامة للأستعلامات، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٤٣.

(٣٢) البرغوثى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٤.

(٣٣) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٨ - ٣٠.

(٣٤) ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربى**، ترجمه أحمد عبدالعزيز، سلسلة " عالم المعرفة "، الكويت، ١٩٨٥، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٣٥) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣١ - ٣٤.

(٣٦) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٣٧) **المصدر نفسه**، ص١٠٨ - ١٠٩.

(٣٨) كيالي، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣.

(٣٩) د. فليب حتى، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، الجزء الثانى، ترجمة د. كمال اليازجى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٤٠) البرغوثى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٤١) العطار، **مرجع سبق ذكره**، ص ١١٨.

(٤٢) البرغوثى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٣٩.

(*) ميخائيل شاقة أحد مؤرخي هذه الحقبة.
(٤٣) حتى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٣٩.
(٤٤) ربيع فواز، والى عكا أحمد باشا الجزار (١٧٢٠ - ١٨٠٤) بعيدًا عن رسائل القناصل الفرنسيين ومذكراتهم، **الحياة** (لندن)، ٢٠٠١/٦/٢٣.
(٤٥) العطار، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٤ - ١٣٢.
(٤٦) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٢٣.
(٤٧) البرغوثي، **مصدر سبق ذكره**، ٢٤٩.
(٤٨) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٢٣.
(٤٩) **المصدر نفسه**، ص ٧٢٤.
(٥٠) **المصدر نفسه**، ص ٧٢٥.
(٥١) البرغوثي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.
(٥٢) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٢٦.
(٥٣) العطار، **مصدر سبق ذكره**، ١٣٥ - ١٥٤.
(٥٤) النقلي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠٨ - ٣١٩.
(٥٥) عيسى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٩.
(٥٦) الموسوعة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٢٦ - ٧٢٧.
(٥٧) سوليه، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٦ - ٤٨.
(٥٨) عبد الرحمن الرافعي، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر**، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠، ص ٨٠.
(٥٩) عيسى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٤ - ٦٥.
(٦٠) الرافعي، **مصدر سبق ذكره**، الجزء الثاني، ص ٩٥.
(٦١) محمد جلال كشك، **ودخلت الخيل الأزهر**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٧٥.
(٦٢) عيسى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٤ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٧.
(٦٣) **المصدر نفسه**، ص ٧٨ - ٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٩.
(٦٤) الرافعي، **مصدر سبق ذكره**، الجزء الثاني، ص ١٥٦ - ١٥٧.
(٦٥) **المصدر نفسه**، ص ١٦١ - ١٦٢.
(٦٦) شوقي أبو خليل، **الإسلام وحركات التحرر العربية**، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٩٩١، ص ٣١ - ٣٣.
(٦٧) الرافعي، **مصدر سبق ذكره**، الجزء الثاني، ص ١٦٢ - ١٦٣.
(٦٨) عيسى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٦ - ٧٩.
(*) بارتليمي هو مسيحي بوناني مشرقي، انضم للفرنسيين، وقد كلف بالأعمال الخسيسة، وكان محافظ القاهرة، في ذلك الوقت.
(٦٩) **المصدر نفسه**، ص ٩٣ - ٩٩.

(٧٠) أبو خليل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٣.
(٧١) كشك، **مصدر سبق ذكره**، ٣٧٥.
(٧٢) الرافعى، **مصدر سبق ذكره**، الجزء الثانى، ص ١٧٢.

* * *

obeikandl.com